المتاحف واصلها

نبذة للاب لويس جلابرت مدرّس الاثار الرومانيّة واليونانيّة في المكتب الشرقي

سُررنا بما كتبهُ حضرة الاب انستاس الكرملي في عدد سابق في « اوّل متحفة للهوامّ والحشرات انشاؤها عربيّ » فافادنا المكاتب الفاضل عمّا عناهُ احد وزراء القرن الرابع للهجرة ابو الفضل جعفر بن الفضل الشهير المعروف بابن حنزابه لانشاء متحفة جمع فيها عددًا من الهوامّ والحشرات لاسيّما الافاعي والحيّات والعقارب وما شاكلها . وهي فائدة تُذكَر فتشكَر . لكنّ حضرة الاب بنى على هذا النصّ الذي وجدهُ عمارةً شاهقة لا يقوى على حملها الاساس الذي وضعهُ . وغاية ما امكنهُ ان يستنتج منهُ ان احد العرب كان هائمًا بحبّ الحشرات فجمع منها عددًا وافرًا كان يتلهّى بالنظر اليها ويقضي الساعات في النظر الى حركاتها ودرس طبائعها

ولكن يا تُرى اين هذا من المتاحف التي انشأتها الدول او الجمعيّات او بعض الخواصّ في كل فنون العلوم وضروب المعارف . ومن شروط المتاحف أن تكون لفائدة العموم فيسوغ لكل طالب علم ان يأتيها كلّ ما شاء فيدوس المعروضات ويقابل بينها ويرسم صورها ويتّخذها كمادّة لدروسه واساس لابحاثه . امّا مجموعة ابن حنزابة فكانت مجموعةً خاصّة لا يستفيد منها غيرهُ ولعلّ صاحبها ما كان يبغي منها سوى ترويح الفكر في اوقات الفراغ وتسريح النظر بمشاهدة بعض غرائب الحيوان . اما العموم فما كان ليقدم عليها بل كان يأنف من رؤيتها كما ترى من جواب ابن المدبّر لابن حنزابة (ص ٣٤٥)

ثم ان هذه المتحفة التي سعى بجمعها ابن حنزابة كانت محصورة في بعض الحشرات السامّة خاصّةً لاسيما العجيب من اجناس الحيّات والكبار منها ولم يُذكر انّ جامعها اتى بغير الاجناس المصريّة . وشتّان بين هذا المجموع والمجموعات التي يحتفلها ارباب العلم بعد العناء الطويل لا من بلد واحد بل من كلّ البلاد لتمّ فائدة المقابلة . فانّ الاوربيين اليوم لم يتركوا فنًّا واحدًا او ضربًا من العلوم الطبيعيّة وغيرها الّا صرفوا المبالغ ليحرزوا كلّ ما وُضع في جميع الاقطار من متعلّقات ذلك الفنّ او ذلك العلم . وقد بلغ عدد هذه المتاحف ما لا يُحصى عدًّا . مثالهُ متحفة البيفاوات في ڤينّة فانّ هنالك منها مجموعًا يحتوي على المئين منها في انواع والوان واصوات غريبة عجيبة . ومتحفة الفرّاش

(papillons) للاب دي جوانيس اليسوعي في باريس يحتوي الألوف المؤلفة من ضروب الفراش الزاهية الالوان العجيبة الاشكال ومنها ما يساوي لندرته مائة فرنك واكثر. وكذا قُلْ عن متحف البسط والطنافس والسجادات في باريس (les Gobelins) وعن مجموع اصناف النحل التي يتكلّف عليها امبراطور النمسا نحو مليونين فرنك في السنة

وزد على ذلك انَّ متحفة ابن حزابة تلفت بعد موته فلم نجد لها اثرًا بعد هذا امَّا المتاحف فيقوم باعمالها ولوازمها غالباً جمعيّات يزيدونها ثروةً وتحسيناً بعد منشئيها

هذا ما عنَّ لنا من الملحوظات في مقالة حضرة الاب انستاس ولا نقول ذلك بخساً بفضل العرب ولكن قياماً بواجبات الحقّ وتنشيطاً لحضرته او لغيره ايضاً ليزيدوا بحثًا في هذا الامر ويجدوا ما هو اثبت لبيان المقصود من اهتمام العرب بجمع المتاحف . وانَّا نحن لا نشكّ انَّ بعض الدول العربيَّة اهتمَّت بمثل هذه الجاميع الفنيّة او العلميّة او الطبيعيَّة فمنها ما كانت للعلوم ومنها ما كانت لرونق الدولة ولحاجات الملك . وناهيك ما ورد من ذلك في تآليف ابن الطوير والقزويني والقلقشندي والمقريزي . وهم يدعون الدور الجامعة لهذه التُحف بالخزائن منها خزائن الكتب الجامعة لضروب التآليف (المشرق ٨: ٩٢٦) وخزائن الجوهر والطيب والطرائف (خطط المقريزي ١: ٤١٤) وخزائن الفرش والامتعة (١: ٤١٦) وخزائن السلاح (٤١٧) وخزائن السروج والخيم (٤١٨) والبنود (٤٢٣) والاصطبلات وغير ذلك ممَّا يأخذ وصفهُ بجامع القلوب فلا يشكّ القارئ بان كل خزانة منها كمتحفة لا ينقصها شيء من غنى المتاحف وتوفر اجناس محتوياتها . فهاك مثالاً من ذلك ممَّا نقلهُ المقريزي عن كتاب الذخائر في خزائن الخيم

قال أُخرج فيما أُخرج من خزائن القصر عدَّة لم تُحصى من أعدال الخيم والمضارب والقاعات والمسطّحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والقناطير المعمولة من الديباج والحرير والخسرواني والديباج الملكي والاربسي والبهناوي والكردواني والجيّد من الحلبي وما اشبه ذلك من سائر الوانهِ وانواعهِ ومن السندس والطبرد ايضاً منهُ المفيَّل والمسبَّع والمخيَّل والمطوَّس ومن سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بتراثب النقوش بجميع آلاتها من الاعدة المطيَّبة انابيب الفضَّة والذهب المذهَّبة والنير المذهَّبة من سائر انواعها والواحها والصفريَّات الفضَّة على اقدارها والحبال المطيَّبة القطن والحرير والاوتاد وسائر ما يحتاج اليهِ من جميع آلاتها . . .

وما يقال في هذه الخزائن يصحُّ ايضاً في الزهور والنباتات والاعشاب . وليت شعري

أيصدَّق انَّ الخافاء والاعيان حُرموا من الحدائق الجامعة لاصناف الزهور الحافلة بضروب الاشجار تنمو فيها النباتات بأشكالها . وعلى كلّ كيف امكن ابن العوّام ان يصنّف كتابهُ في الفلاحة ان لم يقف على ضروب المزدرعات او كيف قدر ابن البيطار ان يصف المفردات لو لم يعرفها فلا ريب انهما وجدا متحفةً نباتية جامعة انواع النباتات والاشجار فاستطاعا ان يصفا ماهيّاتها وقواها ومنافعها ومضارّها . ومما يؤيد ذلك انَّ بعض الطبيعيين عُرفوا عند العرب باسم النباتيّ والعشّاب كضياء الدين ابي محمّد عبد الله بن احمد الملقي وكأبي العبّاس الغافقيّ لاشتغالهم بجمع شتات النبات وكذا يقال عن الدميري لوصف اشكال الحيوان . غير أنّا لا نعلم من امر المتاحف التي كانت فيها هذه النباتات والحشائش وضروب الحيوان الّا الزهيد اليسير فعسى احد الادباء يطّلع على شيء من ذلك فيفيدنا عنهُ ما اصاب

ومع اقرارنا بفضل العرب في هذا الباب لا يمكننا ان نسلّم بقول حضرة الاب انستاس بانهم سبقوا من سواهم الى ذلك . وها نحن ندوّن هنا بعض ما نعلم من امر المتاحف عند القدماء ليتحقّق القرّاء انَّ القدماء انفسهم لم تَفُتهم منفعة جمع الطرائف من كلّ المواليد الطبيعيّة ومن المصنوعات البشريّة ولعل اوّل واعظم متحفة للحيوان ورد ذكرها في اقدم تاريخ العالم انّما هي سفينة نوح اذ جمعت من البهائم والحشرات ما لم تحوهِ متحفةٌ في العالم . ثم امتازت بالمتاحف امم جليلة كاليونان وقدماء المصريين والرومان . وكانت هياكلهم من اعظم المتاحف وابدعها يجمع فيها السدنة ما يقدّمهُ عبّادها من التقادم وكانت هذه التقادم تُعرض في باحات الهيكل وفي اروقتهِ بنظام واتقان بحيث تروق العين الى نظرها

والاثريون وجدوا من هذه الذخائر القديمة ما لا يكاد يفي بهِ احصاء فمن ذلك اوعية وادوات وآنية كانوا يستعملونها في الذبائح والمناسك الدينيّة كالأكأة والمزاهر والقماقم ومجامر البخور واكثرها بالذهب الابريز او بالفضة الخالصة وهي منقورة عليها التصاوير والنقوش البهيّة

ومنها الحليّ والمصوغات كالأسوار والخواتم والقلائد والخلاخل وحُقّ العاج والمراوح واجناس الحرائر والاقمشة كانوا يحلّون بها تماثيل الآلهة في حفلات الاعياد

ومنها الاعمال النقشيّة والحفريّة كالحجارة الكريمة والتماثيل والدُّمى والتصاوير من

اعمال كبار المصوّرين والنحّاتين يتّخذون لها الرخام والحجر المحبّب والشبّه والذهب والفضّة

ومنها ادوات الصنائع والاساعة كالخوذ والتروس والاقواس والجعب والمغازل

ومنها ضروب النقود على اختلاف انواعها وازمنتها

وكانت كل هذه المجاميع الثمينة تُعرض على صورة رائعة بكل هندام . وكان سدنة الهياكل يضبطون قوائمها لئلّا يُفقد منها شيء . وبعض هذه القوائم قد كُتبت على جدران الهياكل ومنها ما يستوعب صفحات كاملة ومئين من السطور مع ذكر اسم مهديها وثمن كل تحفة . امّا تاريخها فيتراوح بين القرن الخامس والقرن الثاني قبل المسيح

فترى انّ هذه المجموعات يمكنها ان تُحسب كمتاحف عموميّة الّا انّها كانت متاحف دينيّة . وكان للقدماء ما عداها مجموعات أُخرى تخصّ الملوك او البلديّات يعرضونها في النوادي العموميّة يرتادها الزوّار من الوطنيين والاجانب امّا لغاية علميّة واما لترويح البال

فمن ذلك ردهةٌ كبيرة كانت في اعالي مدينة اثينة يدعونها خزانة التصاوير (Pinacothèque) اودعوا فيها عددًا وافرًا من صُور ارباب التصوير وقد وصف الجغرافي پوسانياس الردهة المذكورة مع ما فيها من الطرائف الجليلة

وكذلك في مدينة پرغامة كان الملوك المعروفون باسم اتّال انشأوا ناديًا واسمًا بنوهُ على مقربة من مكتبتهم الشهيرة . وجعلوا فيه متحفًا للصور والتماثيل جمعوها من كلّ انحاء البلاد وصرفوا عليها المبالغ الطائلة قيل انّ اتّال الثاني اشترى صورةً للمصوّر ارستيدس كانت تمثّل الاله باخوس بمبلغ ١٠٠ وزنة اعني بما يساوي من نقودنا ٧٥٠,٠٠٠ فرنك . وكانوا اذا لم يمكنهم الحصول على الصور الاصليّة يرسلون مصوّرين او نقّاشين ليأخذوا صورة الرسم او التمثال الاصليّ . وقد وجدوا كتابة في دلفي يُستفاد منها انّ ملك پرغامة كان ارسل مصوّرَين لنسخ تصاوير پوليغنوتس المصوّر

وكانت المدافن المصريّة لاسيما الملوكيّة عبارة عن متاحف يجمعون فيها كلّ اصناف الجواهر والادوات والتماثيل حتّى انّ العقل يبقى في حيرة واندهال من ثروة تلك الطرائف واشكالها وألوانها . وقد وصف حضرة الاب مالون شيئًا من تلك الخبايا المكتشفة حديثًا (اطلب المشرق ٨ : ١٤٥, ٢٢٨ ; ٣٢١) . فليت شعري اين متحف يجمع اليوم كتلك الآثار التي وُجدت في الكرنك وثيبة (ص ٢٣٠—٢٣٣) . فانّهم

في مخأةٍ واحدة وجدوا ٨٠٠ تمثال للاله اوزيريس ما خلا ٤٥٠ تمثالاً غيرها وقس على ذلك بقيّة الآثار الموصوفة هناك

ولمّا صار ملك العالم في يد الرومان جروا على اعقاب اليونان في جمع الآثار القديمة لاسيما اعمال الصناعة والتصاوير والدُّمى حتى انَّ الشاعر هوراس ينسب الى صنف من الجنون حبّ بعض مواطنيه للآثار والتماثيل (Insanit veteres statuas Damasippus emendo) ومثلهُ قول سنيكا (circa tabulas et statuas insanimus) وقد جاءت آثار بمباي مؤيدة لهذا القول لكثرة ما وجدوا في بيوت اعيانها من الملّح والطرائف وكان الذوات من الرومان كپمپيوس ويوليوس قيصر لم يكتفوا بان يزينوا قصورهم باشكال التُّحف بل انشأوا متاحف عموميّة يزورها كلّ من شاء ويتمتّع بنظرها

وما نقولهُ عن الآثار الصناعيّة يصدق ايضاً في مجموعات أُخرى طبيعيّة كالنباتات والحيوانات . فانَّ دار التُّحف التي انشأها البطالسة في الاسكندريّة لم تشمل فقط التصاوير والمصوغات بل كانت ايضاً تحتوي على حديقة غنّاء فيها من النباتات والزهور والاشجار اعزّها وابهاها جمعوها من كل انحاء المعمور . وكان هناك قاعات رحبة فيها كلّ الادوات الجراحيّة والآلات الطبيّة والرسوم المعينة على درس التشريح . وكذلك كانوا خصّوا قسماً من تلك الابنية للحيوانات الغريبة الشكل التي كانوا يجلبونها من اقاصي البلاد . واخبر سترابون الجغرافيّ (ك ١٧ ص ٧٦٤) انَّ البطالسة كانوا جعلوا رواتب للعلماء ولبعض الدارسين لينقطعوا الى درس التاريخ الطبيعي في تلك الحدائق . ومما يروى عن الرومان انَّهم كانوا يوفدون الوفود الى البلاد البعيدة ليجمعوا ضروب الحيوانات العزيزة الوجود لاسيما السباع فيعرضونها على مرأى الجمهور او يتّخذونها للالعاب العموميّة

فناشدتك الله اين كلّ هذه المتاحف من مجموعة ابن حنزابه ؟ ولا يظنَّ القارئ انَّ هذه مباني التُّحف أبطلت بسقوط الدولة الرومانيّة فان ملوك الروم حفظوا كثيراً من هذه عادات اليونان والرومان فجمعوا في قصورهم ضروباً من محاسن المصنوعات وغيرها كانت عندهم بمثابة المتاحف الحاليّة

وكذلك الاحبار الرومانيون كانوا جمعوا في جوار مقامهم ضروباً من المآثر الدينيّة والهبات السنيّة كان المسيحيّون يرسلونها اليهم من اطراف المعمور فرُصدت لها الحُجَر

الخاصة وكانت تُعرَف هذه التحف بكنز القديس بطرس

ولمَّا قامت دول الفرنج في القرون الوسطى كانت لكل دولة خزائن مختلفة كما ذكر المقريزيّ لدول الشرق وإن لم تكن هذه الخزائن في حصر القول متاحف علميَّة. ألا انَّ الكنيسة قد افادونا انَّ الاديرة الكبيرة والكنائس العظيمة كانت تحتوي في الغالب مجاميع ثمينة من آثار ومصوغات وآنية وجواهر كريمة كانت تزداد يوماً بعد يوم من كرم المحسنين حتى صارت بمثابة خزائن الطرائف. ثمَّ نُقلت هذه المجاميع بعدئذٍ الى المتاحف العموميَّة وهي حتى اليوم قسمها الافضل

فهذه لمعةٌ وجيزة عن المتاحف واصلها لم يمكنّا الاتساع فيها لضيق المكان وانَّما جعلناها كملحق لمقالة حضرة الاب انستاس وكتبته لها

مطبوعات شرقية جديدة

Il Nasib nella Qasida Araba per I. Guidi (Extrait des Actes de XIV° Congrès des Orientalistes)

النسيب في الشعر العربيّ

هي نبذة حسنة في اللغة الايطاليَّة قدَّمها المستشرق الايطاليّ المتفنن الاستاذ اغناطيوس غويدي لمؤتمر المستشرقين الاخير الذي عُقد في الجزائر. مدارها على مطلع القصائد العربية التي تُفتتح في الغالب بالنسب والتغزُّل. وقد بحث جناب الكاتب عن اصل النسيب وقدمه وشيوعه ليس فقط عند العرب لكن عند غيرهم ايضاً من الشعوب لاسيما قدماء اليونان. فاتاب الله الدكتور غويدي الذي لهُ اليد الطولى في كلّ الابحاث الشرقيَّة مع تباين مواضيعها واختلاف مضامينها لا يفوتهُ منها شيء. ل. ش

LEIPZIGER SEMITISCHE STUDIEN II: 1. Assyrisch-Babylonische Briefe kultischen Inhalts aus der Sargonidenzeit. von E. Behrens; 2 Bilder-u. Symbole-babylonisch-assyrischer Goetter. von K. Frank, nebst einem Beitrag über die Goettersymbole des Nazimaruttas-Kudurru, von H. Zimmern. *Hinrichs*, 1906. 124+44 pp. *illustr.*

دروس سامية لبعض اساتذة ليبسيك (المجلد الثاني)

في وصف سابق (المشرق ٩: ١٨٥) بيَّنَّا للقرَّاء غاية هذه الدروس والافاضل للهتمين بنشرها. واليوم قد وافانا من مجلَّدها الثاني قسمان يحتويان ابحاثاً في اديان البابليين